

الفكر التربوي لشيخ التربويين العرب حامد عمّار وبعض آرائه التربوية في قضايا التربية والتعليم المعاصرة

د. أضواء محمد إبراهيم جعفر

أستاذ مساعد بجامعة أم القرى تخصص الأصول الإسلامية للتربية
قسم السياسات التعليمية كلية التربية جامعة أم القرى

• مستخلص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى إبراز بعضاً من جهود وأراء حامد عمّار التربوية، في عدد من القضايا التربوية المعاصرة، كالتعليم الأجنبي والهوية الثقافية، وبرامج إعداد المعلم في كليات التربية، بالإضافة لرأيه بضرورة الإصلاح والتجديد في قطاعي التربية والتعليم، كما هدفت الدراسة لإبراز بعضاً من الأساليب التربوية التي امتثلها عمّار خلال مسيرته التربوية؛ كالحوار والمناقشة والقدوة، والتعلم الذاتي، وتثمين المحاضرات، وغير ذلك. واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي بأسلوب دراسة الحالة، عن طريق استقراء الدراسات والمقالات التي تناولت شخصية حامد عمّار وفكره التربوي، وكان من أبرز نتائج الدراسة:

أن شخصية حامد عمّار امتازت بحفظه للجميل، ووفاءه بالعهد، وصيافته للمودة، وحنينه للوطن، واعتزازه بثقافته، وانتمائه لقريته، وقد ظهر ذلك جلياً في كتاباته، التي اعتمدت المنهج النقدي الاجتماعي التاريخي والسياقي، ويرى عمّار بضرورة وضع سقف للتعليم الأجنبي، بحيث لا يطفئ على التعليم الحكومي، حتى وإن كان فيه نوع من إثراء التنمية البشرية، لما قد يسببه من اللاتجانس والتناقض الثقلي والاجتماعي، وانحسار مقومات الوفاق الجماعي.

الكلمات المفتاحية: الفكر التربوي، الآراء التربوية، حامد عمّار، شيخ التربويين العرب.

The Educational Thought of the Elder of Arab Educators, Hamed Ammar, and Some of His Educational Opinions on Contemporary Educational Issues

Adwa Mohammed Ibrahim Jaafar □

Abstract

The study aimed to highlight some of Hamed Ammar's educational efforts and opinions on various contemporary educational issues, such as foreign education, cultural identity, teacher preparation programs in education colleges, as well as his opinion on the necessity of reform and renewal in the education sector. Additionally, the study aimed to showcase some of the educational methods adopted by Ammar during his educational career, such as dialogue, discussion, modeling, self-learning, and valuing lectures, among others. The researcher used a descriptive method with a case study approach, through reviewing studies and articles that addressed Hamed Ammar's personality and educational thought. Among the study's prominent findings were: Hamed Ammar's personality was characterized by his appreciation of beauty, loyalty to commitments, maintenance of affection, longing for his homeland, pride in his culture, and belonging to his village. This was clearly evident in his writings, which adopted the socio-historical and contextual critical approach. Ammar sees the need to set a limit for foreign education, so as not to dominate over government education, even if it contributes to human development, due to the potential cultural and social heterogeneity and the weakening of collective consensus.

Keywords: Educational thought, educational opinions, Hamed Ammar, the elder of Arab educators.

• المقدمة:

التربية عملية اجتماعية، تعكس طبيعة المجتمع، وآماله وطموحاته، وهي جزء من نظام اجتماعي أكبر، تؤثر وتتأثر به، في علاقة تفاعلية مستمرة، حفاظاً على كيانه واستمراره.

وهي مرآة المجتمع، تكشف عن خصوصياته، وتنعكس من على سطحها سماته؛ التي تميزه عن غيره من المجتمعات. لهذا حظيت التربية باهتمام الدول مادياً ومعنوياً.

والفكر التربوي الإسلامي هو العطاء العقلي على مستوى الفرد والأمة، وهو نتاج حضارة عريقة امتدت على مدا أربعة عشر قرناً من الزمان، مما أكسبه هذا البعد من القوة والازدهار، حيث استمد قوته وحيويته وحركته من حركة هذا الدين، وقوته في جانبه التطبيقي، في الحياة الإسلامية، فهو دين علم وعمل، وبهذا وُظفت الأفكار المستمدة من المصادر الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان في حياة الناس اليومية، في برنامج تطبيقي لم يشهد له التاريخ مثيلاً.

ولقد أسهم علماء المسلمين في تكوين الفكر التربوي الإسلامي على مر العصور، وعرف التاريخ نماذج من العطاء الفكري في كافة الميادين، منهم الإمام الفقيه القابسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري، وكتب كتابه: (الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين) في الفكر التربوي، وكذلك الإمام الماوردي الذي عاش في القرن الخامس الهجري وكتب في السياسة الشرعية والفكر السياسي والتربوي، ويعد كتابه (أدب الدنيا والدين) من أروع ما كتب في مجال التربية والأخلاق، وكذلك الفقيه الزرنوجي الذي عاش في القرن السادس الهجري وكتبه (تعليم المتعلم طرق التعلم) في الفكر التربوي، وغيرهم من العلماء البارزين في سماء التربية والتعليم.

وقد أصبحت دراسة الفكر التربوي الحديث تتويجاً للماضي، في ظل مستجدات العصر الحالي، من تطور في وسائل الاتصال، والتراكم المعرفي الهائل، والتقدم العلمي والتقني، وتغير ظروف وطبيعة الحياة بشكل حثيث ومتسارع، وفي ظل تعدد المذاهب والأطر الفكرية المعاصرة، واختلاف أنماط التفكير، وأشكال السلوك، وتبدل الطبائع والعادات.

ولكل عصر سماته ومنابعه وعلمائه وفكره؛ المنبثق عن حركته الحضارية والإنسانية، حيث لا تخلو حقبة؛ من نمو في حركة الفكر الإسلامي، مهما أصابها من الضعف، لأن حركة الفكر لا تأخذ شكلاً واحداً، وقل ذلك المحافظة على القديم والاشتغال والابتكار والتجديد، وهذه سمتا بارزة في كافة أرجاء المعمورة، فالحضارة والفكر في حاجة للبعد الزماني والمكاني، لتحقيق النمو والازدهار.

وعند دراسة الفكر التربوي المعاصر، لا بد أن يكون ذلك في ضوء التطور التاريخي له، مع مراعاة مستجدات العصر، وحركة الواقع، وفي ظل حضارة إسلامية عريقة، امتازت بقدراتها على البذل والعطاء؛ في ميدان الفكر التربوي، وجهود علمائها ومفكرها، وتراثهم خير دليل على ذلك، وهذا بدوره يدفع حركة الفكر التربوي المعاصر ومعطياته.

ومن هنا جاءت الحاجة إلى دراسة الفكر التربوي المعاصر؛ بتسليط الضوء على شخصية تربوية معاصرة، أضاءت زمانها، وساندت مشاريع الإصلاح التربوي والتعليمي في المجتمعات العربية والإسلامية، وكانت على مرّ الأيام تحمل الآمال بعودة النماء والنهضة من جديد، تلك هي شخصية حامد عمّار - شيخ التربويين العرب - وملامح من حياته، والعوامل التي شكّلت فكره التربوي، مع شذرات من آرائه في واقع التربية والتعليم اليوم.

• موضوع الدراسة:

اتجه الكثير من الباحثين للبحث والتنقيب عن أعلام الفكر التربوي الإسلامي، والكشف عن جهودهم التربوية، سعياً منهم لتحقيق ذاتية الإنسان المعاصر، وأصالة فكره التربوي، وقد تنوعت البحوث التربوية بين: (منهجية، وأصولية، وفلسفية، وأخرى تاريخية، بدراسة تاريخ التربية في فترة زمنية معينة، أو دراسة الشخصيات على مرّ العصور)، وقد لاحظت الباحثة أن الدراسات الحديثة: قد أسهبت في دراسة الشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي، وذلك بقصد الكشف عن جهودهم في خدمة التربية والتعليم، بينما قلت الدراسات التربوية للشخصيات المعاصرة، إلى حدّ الندرة، فلم تأخذ حقها من التكريم والتقدير، وإبراز الجهود والإسهامات التربوية في واقعنا المعاصر، مما كان دافعاً للباحثة لاختيار شخصية المفكر التربوي حامد عمّار، والذي تميز بسعة افقه التربوي، وإبداعه وتألقه العلمي، فبرز اسمه، ولمع صيته، حتى لقب بشيخ التربويين العرب.

إن دراسة الفكر التربوي من خلال شخصيات أفراد؛ يعتبر طريقة من طرق البحث الكيفي - النوعي - في التربية، وكما أشارت دراسة (جمال الدين، ٢٠٠٧) بأن السيرة الذاتية تعتبر مدخلا من مداخل تعليم الآخر، وإحدى استراتيجيات التعلم المستمر، والتي يمكن أيضا أن تكون علامة من علامات النقلة من تعليم الكبار، إلى التعليم المستمر مدى الحياة، في مجتمع المعرفة اليوم، الذي نأمل اللحاق به، ومن أهم وسائله البحث العلمي والتعليم.

ولهذا فقد عمدت الباحثة لاختبار شخصية حامد عمّار، موضوعاً للدراسة؛ تحت عنوان: "الفكر التربوي لشيخ التربويين العرب حامد عمّار وبعضاً من آرائه في القضايا التربوية المعاصرة" محللة لسيرته الذاتية، ومسيرته العلمية والعملية.

• أسئلة الدراسة :

- ◀ ما العوامل التي أثّرت على تشكيل الفكر التربوي لحامد عمّار؟
- ◀ ما الجهود والإسهامات التربوية لحامد عمّار؟
- ◀ ما الأراء التربوية لحامد عمّار في بعض قضايا التربية والتعليم المعاصرة؟

• أهداف الدراسة:

- ◀ الكشف عن العوامل المؤثرة على تشكيل شخصية حامد عمّار وفكره التربوي.
- ◀ إبراز الجهود والإسهامات التربوية لحامد عمّار.
- ◀ إيضاح الأراء التربوية لحامد عمّار في بعض القضايا التربوية المعاصرة.

• أهمية الدراسة:

تنعكس أهمية الدراسة باعتبار الشخصية موضع الدراسة، حيث إنها شخصية تربوية معاصرة، لها جهودها وإسهاماتها البارزة في مجال التربية والتعليم، وبالتالي فإن الفكر التربوي لها؛ ينبثق عن المتغيرات والتحديات الاجتماعية والثقافية الحالية.

• منهج الدراسة:

للإجابة على أسئلة الدراسة، وتحقيقاً لأهدافها، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي بأسلوب دراسة الحالة، وهو أسلوب آخر، أو منهج فرعي من المناهج الوصفية، يُعنى بالدارسة المتعمقة لحالة فردٍ ما، أو جماعةٍ أو مؤسسة، كالأسرة أو المدرسة أو المصنع، من كافة الجوانب التي قد تؤثر بها، عن طريق جمع المعلومات والبيانات عن الحالة، ومعرفة العوامل التي أثرت عليها والخبرات الماضية لها، لفهم جذورها، على اعتبار أن هذه الجذور ساهمت بشكل فعال في تشكيل الحالة في صورتها النهائية. (عبيدات وآخرون، ٢٠١٣)

وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي لدراسة حالة (حامد عمّار)، وفقاً للخطوات التالية:

- ◀ تحديد الحالة موضع الدراسة، وهي شخصية حامد عمّار رحمه الله.
- ◀ جمع المعلومات والبيانات المتصلة بالحالة، عن طريق تتبع كل ما كتب حول شخصية حامد عمّار - قدر الإمكان - من خلال زملائه وتلامذته وأهله، إضافة للمقابلات والاستضافات الحوارية التي عقدت معه، ومذكراته الشخصية التي كتبها عن نفسه آخر حياته رحمه الله في كتابه "خطى إجتزناها بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة".
- ◀ تحليل تلك الأعمال والكتابات، لاستنباط الملامح العامة لفكر حامد عمّار التربوي.
- ◀ استنباط الآراء والمبادئ التربوية لحامد عمّار والتي يمكن الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر.

• الدراسات السابقة:

من خلال مطالعة الباحثة للدراسات والأبحاث المتعلقة بدراسة الفكر التربوي للعلماء والمفكرين المعاصرين، لم تقف على دراسات عن حامد عمّار، سواء على الصعيد المحلي أو الإقليمي، وسواء من الرسائل الجامعية، أو البحوث المحكمة، أو المؤلفات المنشورة، سوى أعمال متفرقة، قامت بها جهات ومؤسسات مصرية، تكريماً لشخص حامد عمّار، وتقديراً لجهوده التربوية، وقد كانت تلك الأعمال هي الرافد المعرفي لهذه الدراسة، وتذكر منها الباحثة على سبيل المثال:

- ◀ الجوادى، محمد (٢٠٠٨)، وفقات على كتاب: خطى إجتزناها بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة، مجلة عالم الكتب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٢، ص ص ٢٣ - ٢٦، مصر.
- ◀ زاهر، ضياء الدين (٢٠٠٨)، حوار مع مفكر: الاستاذ الدكتور حامد عمّار "شيخ التربويين العرب"، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد ١٤، العدد ٥٠، ص ص ٤٥٠ - ٤٥٨، مصر.

«هيئة التحرير بمجلة الطفولة والتنمية (٢٠١٥)، المؤهلات والخبرات العلمية والعملية والإنتاج العلمي للأستاذ الدكتور حامد مصطفى عمّار، المجلد ٦، العدد ٢٣، ص ٢١٣ - ٢١٨، مصر.

• المبحث الأول: العوامل التي أثرت على تشكيل فكر حامد عمّار

• أولاً: العوامل الاجتماعية والثقافية

١] اسمه ومولده

حامد مصطفى حامد عمّار، ولد بقريّة (سلوا) بمحافظة أسوان، في صعيد مصر، بأقصى الجنوب، في ٢٥ فبراير عام ١٩٢١م، الموافق ١٧ جماد الآخر ١٣٣٩هـ.

٢] أسرته

نشأ حامد في أحضان أسرته، بين والديه وأخوته، والده؛ مصطفى عمّار حامد، ووالدته؛ نزهة ابنت عم والده، اللذان بذلا في سبيل تعليم أبناءهم؛ لاسيما الابن حامد، كل ما يملكون، وضحوا بأعز ما يحبون، ودعاء والدته له، حتى وهو في غربته بجامعة لندن، (ربنا يعلي مقامك، ويوتق حزامك، ويبارك أقلامك، يا حامد وليد نزهة).

وقد كان حامد أول طفل ذكر في أسرة الشيخ مصطفى، سبقته اخته (شراقة)، ثم تابعت الزيادة الأسرية لتضم أخوته أحمد وأمنة ومحمد، إتباعاً للقول المأثور (خير الأسماء ما حُمِدَ وعُبِدَ). (عمّار، ٢٠٠٦)

٣] لقبه

لقب حامد عمّار بشيخ التربويين العرب، وقال بعضهم؛ بل هو عميد التربويين، وبعضهم يسميه؛ باولو فرييري العرب، لتأثره بمنهج باولو فرييري في البحوث التربوية.

فبعد أن انتهى عمّار من بعثته بجامعة لندن، وعودته إلى مصر؛ عمل مدرساً في الجامعة، في كليات التربية، وأسهم في الكثير من المؤتمرات التي عُقدت عن التربية في مصر وخارجها، لتتواصل خطاه، وتتابع جهوده، حتى عُرف ولقب بشيخ التربويين، لرصيده العلمي العريض في هذا المجال، خاصة أنه مزج في دراساته بين دوائر الاجتماع والتاريخ والتربية، وانحاز إلى الإنسان وتنمية الوطن وهموم الكادحين والبسطاء من أبنائه، ليس لأنها قضايا عدل اجتماعي فحسب، بل لأنها قضايا نهضوية وتنموية.

إن حامد عمّار أحد أهم الأكاديميين والمتخصصين التربويين في مصر، ومن خلال ريادته في مجال اجتماعيات التربية أصبح صاحب مشروع وطني وقومي في التعليم، ينطلق من فلسفة تقول: ان البشر هم أهم ثروات الأمة على الاطلاق، وان هذه الثروة لو أحسن استخدامها وصقلها، يمكنها إعادة صياغة مستقبلنا والانطلاق الي افاق التقدم والازدهار الشامل. (بدران، ٢٠١٤)

٤] مناقبه

كان حامد عمّار عميق الفكر، صادق المشاعر، عفيف النفس، طيب القلب، خفيف الظلّ، صاحب نكتة وابتسامة، يحمل همّ وطنه ومجتمعه العربي، متواضع، أصيل، شديد الوفاء، يحمل الجميل، كثير الشكر والامتنان.

٥٠ شعاره في الحياة

تمثل عمّار في حياته المقولة المشهورة: (من جدّ وجد ومن زرع حصد)، حيث يقول: كنت أشعر دائماً بقوة السند المستمد من رضى الوالدين وإرضائهم، وتحقيق أمنياتهم، وأن "عين الحسود" يمكن تعطيل مفعولها، وأنه ليس أصدق من قول الحق تبارك وتعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} ♦ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ♦ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى} [النجم: ٣٩ - ٤١] فالضرورة هو أن يسعى المرء؛ حتى وإن لم يتوقع جزاءً، أو يتصور نوعه ومداه. (عمّار، ٢٠٠٦)

٦٦ نشانه

ولأن حامد عمّار كان الصبي الأول في العائلة، وكان من عادة أهل الريف أن الذكور لهم وضع خاص، وحبّ أكثر من الفتيات، كانت له مكانة خاصة في قلبي والديه، إضافة لما قدمه له من تضحيات في سبيل تعليمه، مما لا يمكن حصره أو تثمينه، وقد كان يرافق أباه إلى تجمعات أصحابه ليتعرف عليهم، فيركب على ظهر حماره ممسكاً به خلال المشوار، وقد حفظ عنه دعاء الركوب (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ).

نشأ عمّار في قرية (سلوا) في صعيد مصر، بثقافتها الريفية، والتي تكاد أن تكون منعزلة عن العالم، يصف هذه العزلة بقوله: كانت المديرية إذ ذاك في شبه عزلة عن بقية ربوع المملكة المصرية، محرومة من معظم مرافق العمران والخدمات، وقضي عليها أن تكون ملجأ أو منفى لمن لا ظهر له، وإبعاداً للمغضوب عليهم والضالين، وكانت قرية (سلوا) قمة من قمم عزلة الريف، الذي كان ينوء بآيات الفقر والحرمان والنسيان، فحتى الأربعينات لم تعرف القرية الوحدة الصحية، ولا الدواء، إلا أعشاب الشيخ والحرجل وحلف البر، والحجامة واللبن للجروح، ولم يكن فيها من المؤسسات التعليمية إلا الكتّاب، واحداً في الناحية (البحرية) والآخر في الناحية (القبلية)، إلى جانب المدرسة الإلزامية الحكومية للبنين والبنات التي انشئت عام ١٩٢٤م. (عمّار، ٢٠٠٦)

ومن شدة عزلة القرية الثقافية، يصف عمّار دخول الراديو للقرية بأنه (صدمة ثقافية)، بقوله: كان يوماً تاريخياً حين جاء صرّاف القرية، بذلك الساحر الصوتي (الجرامافون) أي الحاكي، وتجمّع حوله حشد غفير من الأطفال والشباب والرجال، وقد أحدثت تلك الآلة المغنية لديّ - وأنا لم أتجاوز الخامسة من عمري (صدمة ثقافية)، ولا أنسى قول والدتي (يا الله!!!) الخواجات ما غلبهم إلا الموت).

والخلاصة أن مناخ القرية الثقافى تُطبق عليه الأميّة بظلماتها بين الذكور والإناث، لم يكن عدد الملمّين بالقراءة والكتّابة يتجاوز ٥٠ شخصاً، إلى جانب شخص واحد التحق بالأزهر في القاهرة لوضع سنوات، ومن بين الملمّين بالقراءة والكتّابة (العاجزة) أحياناً؛ عمدة القرية، ومشايخ الناحية، ولا تظهر الصحيفة في أيدي أحد إلا لماماً، وبصورة متقطعة حين يذهب أحدهم للمدينة.

ومع هذا فقد كان والد عمّار متقناً للقراءة والكتّابة، حسن الخطّ، إذ كان يجتهد دائماً في تحسينه، حتى حفظ عنه ابنه حامد قوله: (حسن الخطّ يزيد الحق وضوحاً)، وكان هو وزوجته

– والدة عمّار – حريصين جداً على تعليم ابنائهم، رغم ضيق ذات اليد، إلا أنهم ضحّوا بكلّ ما يملكون من فدادين وقراريط، من أجل توفير أفضل الفرص لتعليمهم، لا سيما الابن حامد، الذي هو موضوع هذه الدراسة (عمّار، ٢٠٠٦)

نشأ عمّار مرتبطاً بقريته رغم بساطتها، يكنّ احتراماً خاصاً لأهلها، ويعتبرهم عائلته الكبيرة، فهو أول طفل في القرية يشقّ طريقةً للتعليم الحديث، مما جعل القرية كلها معنية بأمر تعليمه ومهتمةً بأخباره، وقد ساهمت في ذلك بطريقتين:

الأولى: الاحتفال السنوي الذي يقام بالخيمة الكبيرة بالقرية احتفالاً بنجاحه وتفوقه الدراسي، يقول عن ذلك: وشعرت مع ما ساد من تهنئات واستقبالات بأني لا انتمى إلى اسرتي وقبيلتي فحسب، وإنما انتمى إلى القبائل كلها، كما عبّر أحدهم عن ذلك بقوله: أنت واد القبائل كلها.

الثانية: من خلال اقراض والده ما يحتاجه من مال لاستكمال تعليمه، هذا بالإضافة الي الاسهامات المصراوية – أي من يعملون في القاهرة – من أهل القرية، ياهدائه ما قد يحتاج إليه من ملابس وأغراض ضرورية، أو باستضافته في منازلهم، للإقامة فيها، أثناء فترة الدراسة. (عبد السلام، ٢٠١٤)

لقد كان عمّار شديد الاعتزاز بثقافته الريفية، يفخر ببنائه لقريته (سلوا) في صعيد مصر، يقول واصفاً أول زيارة له للكلية مع والده للاطمئنان على قبوله: "كنت لابساً الزي الريفي بجلابيته وعمّته، مما أدى بالمسجل إلى أن يسأل أين الطالب ذاته؟ ولا أشك في أنه كتم استغرابه حين قلت له (أنا الطالب)" (عمّار، ٢٠٠٦، ٩٣)، بل إنه من حبه وارتباطه الوجداني بقريته (سلوا) وأهلها، كتب رسالته في الدكتوراة بجامعة لندن عام ١٩٥٢م بعنوان:

• النشئة الاجتماعية في قرية مصرية

Growing up in Egyptian Village, Silwa, Aswan Province 1954

وقد قامت ابنته نوال بدراسةٍ تتبعيةٍ للتعرف على ما طرأ فيها من تغيرات بعد ثلاثين عاماً، في رسالتها للدكتوراة عام ١٩٨٢م من جامعة فلوريدا، بعنوان: النمو في قرية مصرية

An Egyptian Village Growing up, Silwa, Aswan Province 1983

ومن أقواله في حبّ (سلوا) يقول:

ومع ذلكم الذي جرى ويجري في (سلوا)؛ تبقى في صورتها الأولى مسقط رأسي، وأحوالها القديمة مثار ذكرياتي، متذكراً ما كان يدعوني به الراحل الكريم أ.د. حلمي عبد الرحمن، مؤسس عمليات التخطيط في مصر حين نلتقي: أهلاً بدكتور (حلوانه في سلوانه).

لقد أدمنت الحديث باسم (سلوا) في مسيرة حياتي، أحبها وأعتز بها وبأهلها وبالأحفاد وأبناء الأحفاد فيها، وبما شهدته من الإقبال الهائل على تعليم أبنائها وبناتها في مراحل التعليم المختلفة، ولو كنت أديباً عالمياً شامخاً مثل نجيب محفوظ حين خلد حي (الجمالية) وأحياءه

وشوارعه، وأديباً شاعراً مثل زكي مبارك حين خلد قرية (سنتريس) من قرى المنوفية، لاستطعت أن اخلد (سلوا) على الخريطة المصرية، ومع هذا العجز في تكريمها، تظل راسخة مضيئة بين جنباتي ما شاء الله لي أن أعيش. (عبد السلام، ٢٠١٤)

وتصبح (سلوا) حامد عمّار دراسة رائدة في علم الاجتماع التنموي عالمياً ومحلياً، ويتصدر اسم (سلوا) المحافل العلمية، فقد اختارها عمّار موضوعاً للدراسة اعتزازاً بها، وتأكيداً على أثرها وبصمتها عليه، ولعله أراد أن يثبت علمياً بأن أبناء الفقراء والكادحين لديهم من القدرات والمكانات، ما لا يقل عن أبناء الطبقات العليا، يستطيعون بها أن يجدوا لهم مكاناً تحت شمس هذا العالم. (بدران، ٢٠١٤)

٧ [إسائذنه:

إبراهيم بيومي مدكور، وأبو العلا عفيفي في الفلسفة والمنطق، وسليمان الحزين في الجغرافيا، ومحمد مصطفى زيادة، وحسن إبراهيم حسن، وعبد الحميد العبادي، وشفيق غربال، في التاريخ العربي العام، وعبد المنعم أبو بكر في تاريخ الحضارة الفرعونية، وشوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي، وفاطمة سالم الأستاذة الفاضلة التي كانت تعصر عقلها وجهدها في تعليم اللغة اللاتينية. (عمّار، ٢٠٠٦)

٨ [للاميدنه:

نبيل نوفل، أحمد المهدي عبد الحلیم، حسن البيلاوي، وغيرهم كثير، ممن امتلأت بأسمائهم صفحات سيرته الذاتية، وكتبوا عنه مقالات عديدة في مجالات مصرية وعربية.

• ثانياً: العوامل الفكرية ومسيرته العلمية:

بدأ عمّار مسيرته العلمية منذ طفولته، واعتنى به والداه ليوصل المسير، وضحي بالغالي والنفيس من أجل تعليم فلذة كبده، حيث كان التعليم باهظاً، ولكنه ابتداء بكتاب القرية، ثم تدرّج حتى أتمّ الدكتوراة من جامعة لندن ببريطانيا، وخلال تلك المسيرة، مرّ بعدة محطات تربوية، منها:

• في كتاب القرية:

التحق عمّار بالكتاب في سنّ الخامسة، واستطاع خلال الثمانية عشر شهراً التي قضاها فيه أن يتمّ حفظ جزء (عمّ)، مع اكتساب مهارات محدودة في القراءة والكتابة.

وقد كان اليوم الدراسي في الكتاب يبدأ من شروق الشمس وحتى صلاة الظهر، ثم ينصرف بعدها الطلاب لتناول ما تيسر في البيت من غذاء؛ ليعودوا بعد فترة قصيرة، حاملين معهم الرغيف الذي يمثل المصروف الدراسي لذلك اليوم، لتُستأنف الدراسة، ويمثل الطلاب أمام الأستاذ، والألواح أمامهم، بعد أن يكتبوها بأيديهم، أو يكتبها لهم العريف، ووجههم إلى الحائط، الذي يستند إليه اللوح، آخذين في ترديد ما هو مكتوب عليه بصوت عالٍ.

وأشار عمّار في خضم حديثه عن مرحلة الدراسة بالكتاب، إلى دور القصص التي كان يسمعها من الشيخ أو العريف، ليحفظوا من خلالها بعض الآيات القرآنية، وقد سرد بعضاً منها،

في ثنايا كتابه عن سيرته الذاتية، فما زالت تلك القصص عالقة في ذهنه، مما يدل على الدور التربوي للقصة، والسياق المتصل بالواقع المفهوم، أو المبهر في تخيله، وإثارته للدهشة، وقيمة ذلك بالنسبة للمتعلم في مرحلة الطفولة. (عمار، ٢٠٠٦)

• المدرسة الإلزامية :

كان وجود مدرسة حكومية في القرية حدثاً تاريخياً من نتاج الحركة الوطنية وثورة ١٩١٩م، وانشئت هذه المدرسة الإلزامية عام ١٩٢٥م، مدة الدراسة بها أربع سنوات، وقد التحق بها عمار عام ١٩٢٦م، وهو في عمر السادسة، كما التحق بها كذلك باقي اخوته، ويعتبر التعليم فيها إلزامياً لكل طفل بلغ السادسة من العمر، لكن نتيجة لعدم وعي الأهالي بقيمة التعليم، فإن القليل منهم أرسل أبناءه إليها، وأقل القليل ألحق بناته بها.

بدأ عمار يتعلم في مؤسسة لها مواعيد دخول وخروج، وبها مقاعد وثخت، ولها مواد دراسية غير القرآن، وتُصرف فيها كتب مصورة، وفسحة وجرس يدق، بها أربعة مدرسين وناظر، ممن يلبسون الطرابيش الحمراء على رؤوسهم، وكانوا غرباء عن القرية. (عمار، ٢٠٠٦)

• المدرسة الابتدائية في أدفو:

بعد أن دخل عمار السنة السابعة عام ١٩٢٨م، وهو مازال مجداً في مدرسته وكتابه، عرض أحد المدرسين على والده، بأن يكمل عمار دراسته في المدرسة الابتدائية، والتي هي بداية التعليم الحديث، إذ أن شهادة المدرسة الإلزامية بالقرية هي نهاية طريق مسدود، لا يؤدي إلى أي تعليم لاحق، ومع تردد الأب، لصغر سن عمار، وصعوبة إرساله للدراسة في الغربية، لأن الدراسة في المدرسة الابتدائية، يعني السفر إلى أدفو، إلا أن المدرس طمأنه بأنه سيتكفل بتأمين سكن ورعاية الطفل عمار، ويعتبره فرداً ضمن أسرته، فما كان من الأب إلا أن فكر ملياً في الموضوع، ثم عرضه على حامد ووالدته، مشجعاً بأنه سيحصل على شهادة الابتدائية بدل شهادة المدرسة الإلزامية، وتمنحه الحكومة لقب (أفندي).

يصف عمار شعوره لما سمع الأمر: "ولست أتذكر ما انتابني من مشاعر مختلطة، عندما أبلغني والدي بهذا الخبر، ثم عرضه على والدي، التي كان جوابها؛ بأن القرار بيدك يا أبو حامد، وليس لي إلا أن ادعوا له، وقد كشفت رأسها متجهة إلى السماء: (يبارك ربنا في أقلامه، ويوثق حزامه، ويعلي مقامه). (عمار، ٢٠٠٦، ص ٦٥)

وهكذا تم التحاق عمار بمدرسة أدفو الابتدائية بعد إتمامه للاختبارات المطلوبة، وتجاوزه لجميع العقبات.

• الانتقال إلى المدرسة الابتدائية في أسوان:

وكان ذلك إثر عرض لأحد رواد الأعمال على والد عمار؛ بأن يُمنح الابن فرصة إكمال دراسته في أسوان، مع كفايته بالسكن والنفقات طوال مدة الدراسة، لينتقل حامد إلى مدرسة أسوان الابتدائية عام ١٩٢٨-١٩٢٩، ويقيم مع أحد الأسر الذين لم يكن لهم أولاد، فكانت عنايتهم بعمار بالغة في الأكل والملبس وسائر شؤون العناية والرعاية، بل إنهم اسكنوه في غرفة إلى

جانب غرفهم، وكان يأكل معهم، ويتحدث إليهم، ويستمتع بصائحتهم، وقد عبّر عمّار عن كريم تلك الرعاية بقوله: وقد وضعوا لي في غرفتي (لمبة قاز نمرة ١٠)، وهي أقوى وسائل الانارة المنزلية في ذلك الوقت.

أتمّ عمّار دراسة المرحلة الابتدائية في أسوان، وحصد المركز الأول بين طلاب المدرسة، والمائة والثمانون على مستوى القطر، من حوالي سبعة آلاف ناجح، يقول واصفاً تلك المناسبة التاريخية في حياته: "ومع إعلان النتيجة في البيت، لعلت الزغاريد، وامتدت إلى الجيران، وانعقدت الأفراح والتهاني في خيمة القبيلة، وغدا اسمي مقترنا بلقب (أفندي) منذ ذاك التاريخ، بدلا من لقب (الشيخ) السائد في ألقاب الاحترام في القرية". (عمّار، ٢٠٠٦، ص ٧٤)

• النعيم الثانوي في مدرسة الملك فؤاد الأول الثانوية:

بعد أن أتمّ عمّار المرحلة الابتدائية في أسوان، وعاد إلى قريته حاملا أهازيج الفرح، بدأ والده يستفسر من معلمي المدرسة الإلزامية عن مستقبل حامد، فأشير عليه بضرورة أن يلتحق عمّار بمدرسة الملك فؤاد الثانوية بسوهاج، فكانت العقبات تتمثل في عدم وجود مدرسة ثانوية في مديرية أسوان من جهة، وفي تكلفة السفر ومصروفات الإقامة بسوهاج من جهة أخرى، ولكن والد عمّار قدّم وثائق التحاق ابنه لمدرسة فؤاد الأول بسوهاج، مرفقا معها طلب منحة مجانية كاملة بالقسم الداخلي، مقرونا بشهادة فقر موقعة من عمدة (سلوا)، واثنين من المشايخ، ومعتمدة بخاتم مديرية أسوان. وفعلا تمّ الحصول على المنحة المجانية، وبدأ عمّار بالدراسة في مدرسة سوهاج، بمصروف شهري جنيهاً واحداً، مقارنة بما كان يراه على زملائه من فخامة الثياب، وتنوع المأكولات والحلويات، إلا أنه كان سعيداً، يرى نعم الله عليه تترى، فكانت مدرسة سوهاج بالنسبة له واحة فيحاء، مقارنة بالفترة التي قضاها في أدفو وأسوان لدراسة المرحلة الابتدائية، فكان سعيداً بالطعام الجيد المتنوع، ووجباته الثلاث، والنوم المريح على مرتبة ووسادة، وناموسية تحمي من الناموس، ودورات مياه نظيفة، ودش بالماء الساخن، وقاعة يستذكر بها دروسه تضيء بالكهرباء بدل الغاز.

وقد أتمّ المرحلة الثانوية بشهادتها الكفاءة والبيكالوريا عام ١٩٣٧م، وحصل على الترتيب السادس من بين مجموع الناجحين في القطر، ونشرت صحيفة الأهرام أسماء العشرة الأوائل، وكان لذلك صدى في نفسه ولدى أهل قريته، يقول واصفاً تلك المناسبة: "وقد كان لظهور اسمي في الصحف لأول مرة وقع عميق بالاعتزاز، كما أثار موجة هادرة من الزغاريد بأن اسم (ولد الشيخ مصطفى في الجرنان)، وما أعقبها من أفراح وطبول واستقبال لوفود المهنيين من (سلوا) وما جاورها، والتي استمرت ثلاثة أيام متلاحقة، بل لم تنقطع خلال العطلة الصيفية". (عمّار، ٢٠٠٦، ص ٩٠)

• المرحلة الجامعية:

جامعة الملك فؤاد الأول (القاهرة حالياً): بعد أن أتمّ عمّار المرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية بشهادتها الكفاءة والبيكالوريا، بدأت هموم الأب تتجه لأعباء المرحلة الجامعية، من مصروفات، ومكان السكن، ونفقات السفر، والحصول على منحة مجانية للدراسة الجامعية،

فلم يعد لدى أم حامد من مصوغات الذهب إلا القليل، وللأب من الأغنام وأفراخ الحمام، إلا القليل أيضاً، والتفكير في الاقتراض من أعيان القرية، أو البحث عن يكفل مصروفات دراسته الجامعية، من أعيان اسوان وما جاورها، كما كانت هموم عمّار تدور في نفس فلك أبيه، إضافة إلى حيرته بين كلية الآداب وكلية الحقوق، ولكن لأن القسط الأول لكلية الآداب كان عشرون جنيهاً مقابل ثلاثون جنيهاً لكلية الحقوق، اختار حامد كلية الآداب، بجانب ما كان مترسباً في ذهنه من صورة الطالب الجامعي في تخصص التاريخ منذ إقامته مع أسرته في أدفو، وقدم وثائقه مع شهادة الفقر وطلب المنحة المجانية، وفعلاً تم الحصول على المنحة لاستيفاء الطالب للشروط، وتم استرداد القسط الأول الذي تم دفعه بالدين، وحسب شروط المنحة جرى تقديم طلب بمنحها سنوياً للطالب، واستمرت فعلاً لاستيفاء الشروط؛ (فقراً يدعمه التفوق، أو تفوقاً يدعمه الفقر)، وأتم عمّار دراسته الجامعية، وحصل على الشهادة الجامعية (الليسانس) الممتازة عام ١٩٤١م. (عمّار، ٢٠٠٦)

• الإعداد التربوي:

بعد حصول عمّار على الشهادة الجامعية ١٩٤١م، وخوفاً من شبح البطالة قرر الالتحاق بالمعهد العالي للتربية - الذي تحول فيما بعد إلى كلية التربية عند انشاء جامعة عين شمس في أوائل الخمسينيات - وتخرج منه حاصلًا على شهادة الإعداد التربوي التي تؤهله لمهنة التدريس، وبحصوله على دبلوم التربية عُيّن فوراً في مدرسة قنا الابتدائية، وحاول عندها تطبيق كل ما تعلمه من فنون التربية وطرق التدريس الحديثة؛ على تلاميذه، إلا أنه صُدِمَ بعقول مفتشي التربية والتعليم، التي كانت تطالبهم بالالتزام بمنهج الوزارة كما هو، والحرص على تحفيظه للطلاب حرفياً، ليتجاوزوا الاختبارات النهائية.

• الماجستير في التاريخ:

أتيح لعمّار أن يكمل دراسة الماجستير في التاريخ، مع الدكتور محمد مصطفى زيادة، وكان عنوان الرسالة: (علاقات مصر المملوكية بالدول الأفريقية) أي في الحقبة ما بين القرنين ١٢م، ١٦م. ونوقشت الرسالة عام ١٩٤٥م.

ومع الانتهاء من رسالته في التاريخ انتهت دراسته لهذا التخصص، وبدأت رحلته مع صناعة التربية أو زراعتها كما يحلو له القول، وبعد عودته من البعثة، وانشغاله بهوم التربية والتعليم عام ١٩٨٧م، افتقد مخطوطة الرسالة، وعندما عثر عليها في أحد صناديق (سلوا)، لم يتردد في نشرها، اعتزازاً بأنها كانت باكورة كتاباته في البحث العمي، ولتكون رمزاً للوفاء والتقدير والعرفان بفضل استاذة الجليل محمد مصطفى زيادة. (عمّار، ٢٠٠٦)

• الإبداع لجامعة لندن:

وجد عمّار نفسه في قائمة المبتعثين للدراسة خارج مصر، ضمن قائمتين اثنتين؛ الأولى: لنيل درجة الدكتوراة في تخصص التاريخ، والثانية: لنيل درجتي الماجستير والدكتوراة في تخصص التربية، غير أن اساتذته رشّحوه له اكمال الدراسة في تخصص التربية، لقلّة المتخصصين في

هذا الفرع من جهة، والمستقبل التربية والتعليم في مصر من جهة أخرى، فاختار الابتعاث لجامعة لندن لدراسة الماجستير والدكتوراة في التربية.

وفعلا تمّ الابتعاث إلى جامعة لندن، وواجه عمّار الكثير من العقبات التي كادت أن تحول بينه وبين الدكتوراة وإتمامها، إلا أنه استطاع بتوفيق الله أن يتمها، يقول واصفاً سعادته بعد اعتماد خطة بحثه: "وبعد اعتماد خطة رسالة الدكتوراة بعنوان: (التنشئة الاجتماعية في قرية مصرية "سلوا")، اكتملت فرحتي، وتبددت كل الغيوم في سمائي، وكنت في حاجة إلى زغرودة والدتي، ودعوتها التقليدية كاشفة رأسها، متطلعة إلى السماء، (ربنا يعلي مقامك، ويوتق حزامك، ويبارك أقلامك، يا حامد وليد نزهة).

وفعلا حصل عمّار على درجة الدكتوراة في فلسفة التربية من جامعة لندن عام ١٩٥٢م، على يد عالمة الأنثروبولوجيا الشهيرة "مارجيت ميد"، التي أشرفت على أطروحته العلمية.

• ثالثاً: العوامل الاقتصادية

كانت بدايات خطى عمّار مواجهة جادة للفقر، والذي كان سمة تجمع بين أبناء مصر، فالأم تباع المصوغات والأب يضحى بقراريط الأرض، من أجل تعليم فلذة الكبد، وقد شقّ طريقه من قرية منعزلة، في أقاصي الصعيد، بمحافظة أسوان إلى حرم الجامعة، وآفاق الأمم المتحدة، وخلال هذه المسيرة جاهد في مراحل تعليمه المختلفة، في تلك الفترة؛ التي كان التعليم فيها بمصروفات باهظة، لا يحظى به إلا أبناء كبار الملاك الزراعيين وأصحاب رءوس الأموال، وكبار التجار، والأعيان، يقول واصفاً مسيرة حياته في خضم تلك الظروف:

"إن مسيرتي رحلة طويلة مذهلة من مجتمع الزراعة البدائي واقتصاد الكفاف والاكتفاء بموارده الذاتية، إنتاجاً واستهلاكاً، إلى مرحلة آفاق مجتمع العولمة وعصر المعلوماتية والسوق العالمية، وثورات الهندسة الوراثية والسموات المفتوحة برسائلها الفضائية، ومن أشد الصعوبات التي واجهتني؛ مسببات الفقر وضيق ذات اليد، طوابع الحظ والصدف، من يأس يعقبه الفرج، ومن أحداث مفاجئة غير متوقعة، تنغلق معها الأبواب لتنتفح بعدها، بأسباب مفاجئة وغير متوقعة كذلك، يحيط بها في جميع الحالات كرم المولى سبحانه، ورضى الوالدين ودعواتهما، فضلاً عن السياقات المجتمعية المتداخلة؛ مع شريط حياتي حركة وتحريكاً لها في طول المسيرة وعرضها". (عمّار، ٢٠٠٦، ص ١٥، ١٦)

عاش عمّار حياة الفقر والكفاف، لدرجة أنه لم يذهب لطبيب حتى تخرج من الجامعة، يقول: "لم أذهب إلى طبيب للعلاج في مصر، حتى حين تخرجت من الجامعة، رغم ما تعرضت له من أوجاع وجروح منذ طفولتي، تداويها أمي بالأعشاب أو بمسحوق اللبن، أو بمهارة حلاق القرية في الفصد والحجامة". (عمّار، ٢٠٠٦، ص ١٨)

ولم يكن يعرف تحت اللباس الصعيدي - الجلابية - ملابس غيرها، ومع هذا لم يكن يخجل من فقره، بل كان الفقر دافعاً له للاجتهاد بكل طاقته ووسعه، ليحقق مكانة له بين أقرانه، في صفوف الدراسة، وليثبت وجوده، بل وتميزه، قطع الأيام والشهور والسنين مخترباً عن أسرته، بعيداً عن أهله وأخوته، وكل همّه بناء ذاته، وتحقيق آماله، وآمال والديه وأهل قريته، بأن يصبح

معلما، كانت هموم الأب؛ تتجه في نهاية كل مرحلة دراسية لعمّار في مصروفات مواصلة دراسته، ومكان السكن، ونفقات السفر، والحصول على منحة مجانية، فلم يعد لدى أم حامد من مصوغات الذهب إلا القليل، وللأب من الأغنام وأفراخ الحمام، إلا القليل أيضا، والتفكير في الاقتراض من أعيان القرية، أو البحث عن يكفل مصروفات ابنه الدراسية من أعيان أسوان وما جاورها. وهموم الابن حامد تدور في نفس فلك أبيه، وكان يقدم وثائقه للدراسة سواء في الثانوية أو الجامعة، مقرونة بشهادة الفقر، وطلب المنحة المجانية، موقعة من عمدة (سلوا)، واثنين من المشايخ، ومعتمدة بخاتم مديرية أسوان، ولاستيفائه للشروط كان يحصل عليها (فقرا يدعمه التفوق، أو تفوقا يدعمه الفقر) (عمّار، ٢٠٠٦)

• رابعا: العوامل السياسية

عاصر حامد عمّار أحداث تاريخية جسيمة، كان لها تأثيرا على تشكيل فكره وشخصيته، فمن هذه الأحداث:

◀ الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م - ١٩٤٥م)

◀ الاحتلال البريطاني لمصر والذي استمر سبعون عاما (١٨٨٢م - ١٩٥٢م)

◀ نكسة ٤٨، وهي مأساة قيام دولة اسرائيل والاعتراف بها، واحتلالها لفلسطين العربية عام ١٩٤٨م.

◀ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

◀ ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

وفي كلية الآداب، في أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات، كانت القضية الوطنية متمحورة حول إجلاء القوات البريطانية عن مصر، وكانت كليتا الآداب والحقوق ومدرجاتهما وما بينهما من ساحات مواقع للحوار السياسي، ولم تكن هناك لوائح تمنع الطلاب من المشاركة في النشاط السياسي والحزبي، والواقع أن الطلاب مارسوا أدواراً فعّالة في الحركة الوطنية منذ بداية تلك الفترة حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م. وكما يقول واصفا همومه في تلك الفترة: "أنه في مرحلة تعليمي الجامعي، كان جيلنا تستثيره استشرافات النهضة، وآمال المستقبل، وتحذوه طموحات آفاق الحرية والتحرر، وإيماننا صادقاً بممارسات الوحدة الوطنية، وعزيمة في مكافحة الاحتلال والاستبداد، وشغفا بالمعرفة والعلم" إلى أن يقول: "أتذكر كل هذا في مفارقة مع شباب اليوم، وقد طغت على معظمهم موجات العولمة، ومسالك الكوكلة، والمكدنة، والجكسنة، والكجولة، مع البلطجة والفراغ والمخدرات، والبطالة، بتأثير فساد النظم الداخلية، وضغوط القسر الخارجية". (عمّار، ٢٠٠٦، ص ١١١)

• المبحث الثاني: الجهود والإسهامات التربوية لحامد عمّار

لحامد عمّار جهود وإسهامات تربوية جليمة، تحتاج لعشرات الأبحاث أو تُفرد كموضوعات لرسائل الماجستير والدكتوراة، وذلك لطول عمره العملي والعلمي رحمه الله تعالى، ولهذا حرصت الباحثة على ذكر جانب من حياته المهنية وجهوده التربوية، وإسهاماته العلمية، والتي تناولتها مجلة الطفولة والتنمية (٢٠١٥) بالتفصيل وفاءً لحامد عمّار، منها على سبيل المثال:

• **أولاً: الوظائف التدريسية:**

تدرج عمّار في الوظائف؛ من مدرس ابتدائي إلى مدرس ثانوي، ثم التحق بكلية التربية جامعة عين شمس، حيث تدرج من وظيفة مدرس إلى وظيفة أستاذ.

• **ثانياً: الوظائف والمهام الأخرى:**

كما عمل عمّار خبيراً ثم رئيساً، ومستشاراً للأمم المتحدة في التنمية الاجتماعية، بقسم التدريب بالمركز الدولي لتنمية المجتمع بسرس الليان المنوفية، وعضواً في عدد من المجالس الاستشارية واللجان الفنية والمراكز العلمية، كجامعة عين شمس، ووزارة التعليم، ومعهد التخطيط القومي، والهيئة العامة لمحو الأمية، والمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، وغير ذلك الكثير.

إضافة لمناصبه التربوية والأكاديمية خارج حدود مصر، كتحيينه مستشاراً إقليمياً للأمم المتحدة في تنمية الموارد البشرية باللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (إسكو)، وعضواً في اللجنة الأكاديمية لمعهد التخطيط بالكويت، وعضواً للمنتدى الفكري العربي (عمّان)، إضافة لتحيينه مستشاراً في هيئات تحرير عدد كبير من المجلات العلمية، مثل: مجلة مرآة العلم الاجتماعية، ومجلة التربية العربية بالقاهرة، ومجلة البحوث التربوية العربية بتونس، ومجلة المنار ببيروت، ومجلة كلية التربية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، كما قام عمّار بترجمة العديد من الكتب: منها كتاب التعليم من أجل تنمية الوعي الناقد لباولو فرييري.

وله غير ذلك الكثير من المناصب والوظائف والمهام الأخرى في مجالي التربية والتعليم وتطويرهما.

• **ثالثاً: الإسهام في الأعمال الانشائية**

شارك عمّار في تأسيس العديد من مراكز التنمية والتطوير في مصر وخارجها، كتأسيس المركز الدولي لتنمية المجتمع ومحو الأمية في العالم العربي بسرس الليان، وتأسيس وتطوير معهد الخدمة الاجتماعية بالأردن، وتأسيس وتطوير مركز التدريب على العمل الاجتماعي، في مسقط، بسلطنة عمان، كما ساهم في إعداد وثيقة مشروع المسلسل التلفزيوني (افتح ياسمسم) بين مؤسسة الخليج للإنتاج التلفزيوني ومؤسسة الأطفال الأمريكية.

• **رابعاً: الإنتاج العلمي**

تجاوز الإنتاج العلمي لعمّار أربعين مؤلفاً وكتاباً وأكثر من خمسين بحثاً، ومئات المقالات في الصحف المصرية والعربية، دارت كلها حول مجانية التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية والمساواة، وكشف التناقض بين توحش الرأسمالية وسياسة الاقتصاد الحر الطليق، والتي اهتمت بما يسمى بتطوير التعليم على حساب تعليم الفقراء، وحرمانهم من أبسط حقوقهم الإنسانية في معرفة القراءة والكتابة ومعرفة العالم.

هذا ويعتبر حامد عمّار أحد القلائل الذين تجاوزوا الأكاديمية الصرفة في الدراسة والبحث، والانشغال بقضايا العلم التربوي الضيق، إلى أفق السياسة وتكوين الرأي العام، فقد

أسهم بشكل شبه يومي بمقالاته في كل قضايا الوطن المثارة، بدءاً من القضية الفلسطينية، إلى التعليم، إلى السياسة اليومية، وقد تجلّى ذلك في مطلق الألفية الثالثة، وتحديداً بعد هيمنة العولمة وتداعياتها على كل الأصعدة، وهيمنة الرأسمالية الجديدة عالمياً ومحلياً، كانت كل كتاباته كاشفة وفاضحة لكل أساليب النظام الرأسمالي القاسي الذي لا يعبأ بالمشاعر الإنسانية ولا بالفقر والفقراء، ولكن جلّ اهتمامه هو الربحية البغيضة التي تتجاوز كل القيم الإنسانية. (بدران، ٢٠١٤)

يقول رحمه الله: "لم أحاول تأليف كتب مقررة ليشتريها الطلاب مقتصرين على قراءتها لأسباب أخلاقية وتربوية، حينها يصبح تسلط الكتاب الوحيد، والمعلم الوحيد، والفكر الوحيد أداة من أدوات التسلط في العملية التعليمية". (عمار، ٢٠٠٦، ص ١٣٠)

ويكشف التاريخ العلمي والثقافي، والتكوين الفكري لشيخ التربويين حامد عمار صاحب الفكر الثاقب عن شخصية فذة، أشار أبو عميرة (٢٠١٤) لجوانب تميزها فيما يلي:

◀ أنه صاحب عقلية فذة، وإسهامات متميزة، ينعكس ذلك من خلال رؤيته، وتصوراته لحل مشكلات التعليم، ودعوته للعدالة وتكافؤ الفرص التعليمية، باعتبارها قاعدة للسلام الاجتماعي.

◀ شغفه بخدمة القضايا العربية والإسلامية، إيماناً بالعروة الوثقى في إثراء التعليم والثقافة القومية، من خلال آرائه وكتاباته، الملتزمة بقضايا مصر، والأمة العربية، من خلال التركيز على تطوير العملية التعليمية، تخطيطاً وإدارة كماً وكيفاً، تجديداً وتجويداً.

◀ تمسّكه بجذوره، وارتباطه بمبادئه، واعتزازه بثقافته، في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية والعولمية، مؤمناً بتفعيل دور المرأة في تنمية المجتمع وفي مسيرة الإصلاح الديمقراطي، تقديراً لمكانتها ودورها شريكة للرجل حياة ومصيراً.

◀ دعمه لبناء نظام تعليمي ديمقراطي في المؤسسات التعليمية، أسوة بالمؤسسات النيابية، بهدف تكوين عقليات ديناميّة، تتشكل بفلسفة الحوار، والمناظرات واحترام الرأي الآخر، وغلبة النقد الواعي، على منهج التسلط أو التبعث أو الطاعة العمياء، التي تؤدي إلى الجمود الفكري، مطالباً بالتنسيق والتكامل بين الوزارات الأربع وهي: التربية والتعليم، والتعليم العالي، والإعلام، والثقافة، لأن هذه الوزارات معنية ببناء الانسان، فكراً، ووجداناً وقيماً وسلوكاً.

ومن أبرز كتبه رحمه الله: كتاب (في بناء البشر)، وكتاب (في تطوير القيم التربوية)، وكتاب (في اقتصاديات التعليم)، وكتاب (الحادي عشر من سبتمبر ٢٠١١ وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي)، وكتاب (تعليم المستقبل: من التسلط إلى التحرر)، وكتاب (عولمة الإصلاح التربوي)، وكتاب (من القدس يبدأ السلام)، وكتاب (مواجهة العولمة في التعليم والثقافة).

ويعتبر كتاب حامد عمار (خطى اجتزناها بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة)، والذي جاء في ٣٢٦ صفحة من أشهر كتبه، سجّل فيه وهو في الثمانين من عمره، خلاصة فكره التربوي، وأراءه في قضايا التربية والتعليم، حين استحثه لتدوينها المؤرخ رؤوف عباس، وفاءً

لأجيال اليوم والغد، فكتبه عمّار مهدياً لإياه لروح والدته الطاهرة "نزّهة" ووالده "مصطفى" رحم الله الجميع.

والكتاب عبارة عن سيرة ذاتية، ومسيرة علمية لشخصية عمّار، وهو ليس مجرد سيرة ذاتية لحياته، أو مذكرات شخصية، بل إنه يجسّد روح مرحلة تاريخية مهمة للتربية الإسلامية، وكأنه يتوج النصف قرن الذي عمل فيه عمّار تربوياً متميزاً، بنفحة من سيرته الذاتية في إطار دعوة بأن نتعلم لنكون.

أيضاً من أشهر كتبه، كتاب (في بناء البشر: دراسات في التغير الحضاري والفكر التربوي)، نُشر أول مرة عام ١٩٦٥ م، وأعيد طباعته عدة مرات، وآخر طبعة له كانت عام ٢٠١٠، ومع أن الكتاب مضى عليه أكثر من ٥٠ عاماً؛ إلى أن القضايا التي أثارها؛ لا تزال حاضرة وبقوة، حيث كرّس فيه عمّار لمفهوم التنمية البشرية والتنمية الإنسانية، وفي نهاية التحليل بين أن الإنسان هو صانع التنمية، وصاحبها هو المستفيد الأول من ثمارها، وكشف النقاب عن الشخصية المصرية، فتحدث عن الشخصية المنتجة الفاعلة والإيجابية، وطرح مفهوم الشخصية (الفهلوية) السلبية بكل معانيها وسلبياتها، ووضّح فيه دور التربية والتعليم، والقوى الاجتماعية الأخرى، في بناء الإنسان الجديد، الذي تستلزمه المرحلة الانتقالية الحاسمة التي يمر بها المجتمع، بالتحليل المفصل لتياراتنا الحضارية والثقافية، والذي هو أهم قاعدة من قواعد الفكر والتطبيق التربوي والممارسة العملية، فأكبر أزمة في نظر عمّار هي أزمة الأفكار (المستوية المسطحة)، التي ينبغي أن نستبدل بها في ثقة وعزم أفكاراً (مجسمة ذات تضاريس). وهو يلفت فيه؛ وبقوة؛ إلى ضرورة تحليل ثقافتنا، لنرى الظواهر الإيجابية، والظواهر التي قد تتداخل معها، والتي تعتبر ظواهر سلبية، قد تعوق سرعة النمو، أو قد توهن من أثر النتائج المنشودة، يقول: ينبغي أن نتبين مصادر النمو في الزهور المتفتحة؛ لترداد نموها، وأن ندرك مواطن الطفيليات والأعشاب وأنواعها لنقتلعها اقتلاعاً.

توفي عمّار رحمه الله مساء الاثنين العاشر من ديسمبر من العام ٢٠١٤ م، والموافق للثامن عشر من شهر صفر للعام الهجري ١٤٣٦ هـ، عن عمر ناهز الثالثة والتسعين عاماً.

• المبحث الثالث: الآراء التربوية لحامد عمّار في بعض قضايا التربية والتعليم المعاصرة

• أولاً: التعليم الأجنبي

إن التعليم هو أحد المحاور الرئيسية في تكوين الشخصية، وهو المسؤول عن بناء الهوية، والاعتزاز بالثقافة الإسلامية، من خلال المنظومة التعليمية بأكملها، من مناهج وأساليب ووسائل ومعلمين، وأنظمة ولوائح وكل ما يدخل في النظام التعليمي، وعليه فإن المدارس والجامعات الأجنبية، قد تختلف في مدخلاتها وعملياتها عن المدارس الوطنية والحكومية، وقد تكون لها أهدافاً أخرى، لا ترتبط بالمنظومة الثقافية المجتمعية، ويرى عمّار بأنه لا يجب أن تنمو المدارس الخاصة والأجنبية بمعدلات أعلى من المدارس الحكومية، بحيث يلوح خطر أن تطفئ على السوق، فلا يجد خريجو المدارس الحكومية وظائف يلتحقون بها، وفي ذلك إخلالاً بمبدأ

تكافؤ الفرص التعليمية، إذ أن هذه المدارس تحقق مكاسب علمية وعملية للذين يمتلكون القدرة المالية، وليست القدرة العلمية والمعرفية، وثمة مدارس متناثرة لنظم تعليم حكومي وأزهري وخاص وأجنبي، يتضمن كل منها منظومة متكاملة من المؤسسات التعليمية بدءاً من رياض الأطفال حتى المرحلة الجامعية، وهي بذلك ليست مجرد مدارس أو معاهد أو جامعات متناثرة هنا وهناك، وإنما منظومات متكاملة في كل نوع منها، تتباين في الملكية لمؤسساتها، وفي ادارتها، وفي تكلفة تعليمها، وفي مناهجها، مهما يكن التشابه الشكلي في بعضها، وفي لغة تعليمها، وفي مبانيها وامكاناتها، وفي ازياء طلابها، وفي طقوسها المدرسية والجامعية، وفي كثير مما يسمى بالمنهج الخفي الذي يتخلل اجواءها التعليمية، هذا فضلاً عن تباينها في زبائنها من المستويات الاجتماعية والاقتصادية لطلابها.

ويرى عمّار بأن التعدد في انماط هذه المدارس؛ وإن كان فيه اثاراً للتنمية البشرية؛ إلا أنه لا بد من التفريق بين التعدد والتنوع، فالتعدد القائم مع منظومة التعليم الأجنبية؛ يعني التباين والمغايرة نوعاً، حتى وإن اختزل هذا التباين في معيار لغة التعليم وحدها، على الرغم من بقية المفارقات الأخرى، وعليه فإن الحاصل هو خلط وتمييع لغوي بين مفهوم التعدد والتنوع، فصحيح أن التنوع مطلوب، لكن إذا كان يعني توزيعات وتوزيعات على مضامين واشكال المنتج الاصيلي المستهدف في أي نظام تعليمي، وليس التنوع الذي تضيع معه هوية الإنسان، وتتلاطم أفكاره وانتماءه.

ومع التسليم بأن التعليم الخاص أو الأجنبي هو أقدر بإمكاناته على توفير الجودة في العملية التعليمية، يطرح التساؤل نفسه حول الجودة؛ لمن؟ ولماذا؟ والمرجعية الأساسية المنشودة للإجابة عن هذا التساؤل هي أولاً وقبل كل شيء، إحداث جودة لضمان تأسيس ثقافة وطنية قومية انسانية مشتركة، لدى كل مواطن، بما تتضمنه هذه الثقافة من قيم ومعارف وقدرات توثق عرى انتمائه وولائه للمشاركة في بناء مجتمعه وتحقيق طموحاته، وهذا يعني تأسيس قاعدة ثقافية متطورة، تعظم الجوامع، وتقلل الفوارق، وتمكن المواطنين من التواصل والحوار، والوفاق الديمقراطي بين مختلف القوى الاجتماعية الفاعلة. بيد أن مفهوم التعدد يفتح الباب على مصراعيه إلى إمكانية التجزؤ الثقلي والتشردم الفكري، وشلل القدرة على الحركة نحو قبلة الأهداف المنشودة، ومع العولمة وتياراتها، تموج ثقافة السوق بتوجهاتها، مؤثرة قيم الخلاص الذاتي والفضوي على حساب المصالح المرسلت، كذلك يؤدي اللاتجانس والتناقض الثقلي السائد في ثنائياته مع اختلاطه بقيم العولمة والسوق إلى مظاهر التفكك الاجتماعي، وإلى انحسار مقومات الوفاق الجماعي.

إن التعليم في نهاية التحليل ليس مجرد عمليات فنية محايدة، وإنما هو عمليات سياسية، كما ان السياسة عمليات تعليمية بأوسع معاني هذه العمليات، ومن هنا تتشابك سياسة التعليم، كما تتشابك مع الواقع العياني لتحقيق حياة أفضل واعدل وأجمل لكل مواطن، فالمطلوب هو وضع سقف لنمو تلك المؤسسات غير الحكومية. (عمّار، ٢٠٠٧)

• ثانياً: التجديد والإبداع في مجالات التربية وإشكالياتها

عُرِفَ عن عمّار طموحه الدائم للتفوق والتميز، وحرصه على أن يكون له لمعة فكرية، أو بصمة تعبيرية خاصة بين الأقران، يجتهد ما بوسعه لينمي رصيده المعرفي، ويرسخ حضوره، يقرب الأفكار، وينبش خلف كل ما يتعثّر من رؤى ونظم أو تعليمات، مبغضاً أن يساير الركب، ويشايح القبيلة.

ويرى عمّار بأن واقع الأفكار والسياسات والأبحاث في عالم التربية غالباً ما تتخذ أشكال الأنماط المألوفة، مما يؤدي إلى طريق مسدود، أمام كل سعي للتجديد والإبداع، وخمول الفكر، وإيثار العافية في اتباع المألوف المتبّس، وقصور الهمة عن مبادرات واقتحامات، أو مسالك جديدة، خوفاً من تجاوز ما عرف بالمنهج العلمي السليم والسديد، لنجد بذلك أنفسنا إما مقلدين أو تابعين، أو ناظرين إلى الوراء، وليس إلى الأمام في مقاصدنا ومفاهيمنا وسياساتنا وأولوياتنا في تطوير التعليم.

أدرك عمّار بخبرته العلمية في رسالتي الماجستير والدكتوراة، ما تتعرض له حرية البحث من قيود وحدود في العلوم الاجتماعية والتربوية، والاعتماد على الاستبانة كأداة رقمية، لتصبح أرقامها ونسبها قولاً فصلاً في تحليل وتفسير المشكلات التربوية، مما أدّى بمعظمها أن تكون مجردات فكرية، وتمرينات إحصائية، لا تشتبك مع الواقع المعقد، نقداً وتشخيصاً، وتصوراً لبناء احتمالات مستقبلية.

وهو يصف نفسه تجاه تلك القيود المفروضة على البحث العلمي، وما اكتسبه بسببها من عزيمة وإصرار: "وهكذا انتقلت مسيرة حياتي من الطاعة المهذّبة؛ إلى التمرد الذاتي، من محاولة وجود مكانة معترف بها بين الأقران؛ إلى حالة من التمرد الإيجابي في محاولة لكسر الحصار، فيما يسود من تقاليد ونظم وإجراءات، مع الاجتهاد في إيجاد بدائل أكثر معقولية، وأفضل تأثيراً ونضجاً واكتمالاً، ومن هنا جاء تمسكي بالمنهج النقدي الاجتماعي التاريخي والسياقي، في أفكاري وكتاباتي، في مجالات التربية وإشكالياتها". (ضياء الدين، ٢٠٠٨)

• ثالثاً: برامج الإعداد التربوي للمعلم

يرى عمّار بأهمية برامج الإعداد التربوي لمزاولة مهنة التعليم، ويبين أن هذا الإعداد على نمطين؛ أولهما: النمط التكاملية الذي يجمع خلال أربع سنوات بين المواد التخصصية والعلوم التربوية والنفسية، ومكون ثقلي نظري، مثل: تعلم اللغة الإنجليزية والكمبيوتر، فتدرّس مواد التخصص مع المواد التربوية في آن واحد، وثانيهما: وهو النمط التتابعي، الذي يدرس فيه الخريج أولاً تخصصه، في كليات التربية المتخصصة، إعداد تربوي منفصل، يركز فيه على المواد التربوية والنفسية، مع تدريب ميداني في مدارس التعليم العام.

والأفضل كما يرى عمّار هو النمط التتابعي على مدى عامين، مع جودة البرامج، وتحديث المعرفة، وتوظيف الوسائط التكنولوجية في التعليم والتعلم، لأن النظام التكاملية في إعداد المعلم، تُفضّل فيه المواد التربوية بين مواد التخصص، على مدى أربع أو خمس سنوات، مع إعطاء أهمية

هامشية للتربية العملية، والتي يشرف عليها في معظم الحالات معاونو أعضاء هيئة التدريس، دون أسس معروفة لاختيارهم. (عمّار، ٢٠٠٦)

• رابعا: تقدير العلم والعلماء وحمل الوفاء لأهل الوفاء

يرفع عمّار المعلم إلى منزلة رفيعة، فيرى أنه مفتاح التغيير والنهضة للأمم، فيقول: إن المعلم حقا منارة، وإنه مصدر الضوء والهداية والنفوذ إلى عقول طلابه وقلوبهم، وإنه المفتاح الأول في الدخول إلى عوالم التجديد والإبداع والمغامرة الفكرية، إنه أهم بكثير مما يشغلنا اليوم من معايير الجودة وكفاءة الأداء، نحن بحاجة إلى استاذ ملهم لطلابنا، قادر على تحريك موجات الفكر لديهم، وإعمال العقل والقلب والضمير، باعتبارها فرائض علمية لا يجوز التهاون فيها، وباختصار المعلم منبع الوجود لدى المتعلم، لكي يفكر ويسعى ويتدبر من خلال كيانه وجسمه كله، ما قد يحدثه استاذ أو معلم في طلابه من تأثير مسألته بالغة الأهمية، لا بمجرد ما لديه من معرفة ودراية، وإنما بما يؤمن به، ويحتضنه من إدراك عميق بما يعلم، حيث تنتشر إشعاعاته إلى طلابه. (ضياء الدين، ٢٠٠٨، ص ٤٥٥)

وإن القارئ في كتاب عمّار عن سيرته الذاتية ورحلته العلمية: يجد من قصص الوفاء، وعبارات التبجيل والإجلال لأساتذته، على ما قدموه من علم ونصح وإشراف، فالوفاء هو حفظ للعهود والوعود، وأداء للأمانات، واعتراف بالجميل، وصيانة للمودة، والمحبة، وقد امتلأت صفحات سيرته الذاتية، بأسماء أولئك العظماء، وأوصافهم، وجلالة أعمالهم في تقديم العلم، وتقدير الطالب، ومدى انتظامهم، وإخلاصهم في أداء واجباتهم التعليمية، لتماهيهم وانغماس ذواتهم فيما يتحدثون عنه، ومن الأمثلة على تلك الأسماء التي لمعت في كتابه، وأقواله فيهم:

◀ د. سليمان حزين، والذي كان عائداً حديثاً من بعثته في إنجلترا، شابا وسيما شامخ القامة، يحاضر في الجغرافيا مرتجلا وبلغته عربية فصيحة، وبمصطلحات جغرافية جديدة علينا، وكان دقيقا في أفكاره وعباراته، وطالبنا منذ البداية أن نكون كذلك.

◀ ومن الذي لا يذكر مهابة وشموخ الاستاذ العبادي، وهو يحدثنا عن الدولة العباسية، يدخل علينا بطربوشه الطويل، الذي يزيد هيبته ووقارا، وفي صحبته بعض المراجع الأصلية في التاريخ الإسلامي، يقرأ منها فقرات بين الحين والآخر وهو يحاضرنا، جالسا على كرسيه كما لو كان الخليفة المأمون، يمزج التاريخ بالأدب بالفقه.

◀ ويسترجع ذكريات د. جمال الدين سرور بقوله: كانت عنوبة شخصيته وتواضعه وشبابه؛ كفيلة بأن تجعله محبباً لدى الجميع، وقد توثقت علاقتي معه إلى حد عميق من الصداقة، وكان مشجعاً لي على الدوام، ويطلب مني زيارته في بيته كلما احتجت إلى مشورته.

◀ وقوله عن استاذة الذي أشرف على بحثه في الماجستير - محمد مصطفى زيادة - وفاءً له، وعرفانا بالجميل: "وأذكر أنني كنت أزور استاذي د. زيادة، في بيته، بمصر الجديدة، لأقدم له ما تيسر لي كتابته من فصول، وكيف كان يعلمني؛ كيف تكون الكتابة التاريخية المنضبطة، فكان يقوم بإعادة كتابة صفحة مما كتبت، مشيرا إلى المفارقة بين الأسلوبين، وكانت هذه التدريبات متكررة في مختلف الفصول، لأحاول إعادة كتابتها، مما توافر لهذه

الرسالة من ثناء الممتحنين بالإحكام في أسلوبها، والتدقيق في معلوماتها، والقدرة على ترجيح الآراء، وتفسير مجريات الأحداث وترباطها، مما يعتبر عدة الكتابة العلمية في التاريخ، وإني لمدني له بهذه المهارات في كتاباتي التربوية فيما بعد.

كما يتذكر أساتذته من جامعة لندن، منهم الاستاذ كارل ما نهايم، من المجر من أقطاب مدرسة الاجتماع اللغوي، يصفه عمّار بقوله: "كان رُبعة من الرجال في جسمه، عميق الفكر في تنوعه، يهتز وهو يحاضر جاهداً في توصيل ما يريد توصيله إلينا، وما زلت احتفظ بذلك الكشكول لمحاضراته، بالإضافة لكتابه (الأيدولوجيا واليوتوبيا)، ولا تختزن ذاكرتي أحداً من أساتذة المواد الأخرى، فقد طغى عليهم جميعاً في مرحلة الدبلوم، حيث توفي في السنة التالية." (عمّار، ٢٠٠٦، ص ٩٦ - ١٤٠)

• خامساً: نثمين المحاضرات

ومما يدل على المستوى العلمي الفريد، والأخلاقي الراقى في شخص عمّار، ما كان عليه هو وزملائه من تثمين للمحاضرات، نتيجة إعجابهم بأساتذتهم، وتقديرهم لبذلهم وعطائهم، فاتفق هو وزملائه بأن يثمنوا المحاضرات، بين حدين من القيمة النقدية، تمتد من قروش إلى شلن، فهذه العبارة البارزة في محاضرة الاستاذ فلان تساوي قرشاً فقط، وأخرى لدى استاذ آخر تساوي قرشين، وأخرى تساوي شلن، وهو الحد الأقصى. (عمّار، ٢٠٠٦)

هذا هو تقدير العلم وأهله، والوفاء لأهل الوفاء، ممن اتقن عمله، وأخلص درسه، واجتهد لإيصال الخير - كل الخير - لطلابه، لا سيما مع ثورة الاتصالات، والمعرفة، والتكنولوجيا، التي جعلت الحصول على المعلومات، والمراجع سهلاً ميسراً، فيتق الطالب الله في نفسه، ويرجع الفضل لأهله، ويربّي نفسه على الأمانة العلمية، ودقة النقل، والتوثيق، والاقتباس، ليعترف بفضل العلماء، وينشر علمهم، قال تعالى: {بلى من أوفى بعهدِهِ وَأَتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} آل عمران: ٧٦.

• سادساً: حرية الفكر واجواء القدوة

يرى عمّار أن المناقشة والحوار مع الطلاب؛ من أبرز متطلبات الإصلاح التربوي المنشود، لا سيما في ظل مجتمع المعرفة واقتصادها في عالم اليوم، يقول: "يبدأ إصلاح المنظومة التعليمية؛ بإطالة مدة العام الدراسي، لأنه من أقل الفترات في العالم، وهذا يعني إتاحة الفرصة للمناقشة والحوار بين الطلاب والأساتذة، وإتاحة الفرصة لممارسة الأنشطة الفنية والاجتماعية والرياضية، وهذه الأنشطة مجددة لعقل الطلاب والأساتذة، كما تتيح مجالاً للتعامل مع المكتبة والقراءات الحرة، ويتجلى هذا فيما نسميه بعشق القراءة، لأن القراءة ضرورة من ضروريات مجتمع المعرفة." (جريدة الأهرام، ٢٠١٣)

ويشير لمدي استفادته من المناقشات والحوارات التي كانت تدار في أروقة القاعات بالجامعة، والتي فتحت أمامه من السنة الأولى طاقات هائلة من الفكر وعشق للمعرفة، ظلت رصيذاً زاخراً في رأسمائه العلمي والثقافي، وتدوّق خلالها طعوم حرية الرأي، خلال الفترة الجامعية، كان

يناقش أساتذته بكل أدب واحترام، ويحضر المناظرات والمناقشات، فتعلم منهم أن ثمة تعدداً في الرؤى، وفقه للخلاف، وأدب للحوار.

وكما يقول: كل ما سبق كان بدايات تفتح براعم التساؤل، والنقد، والتذوق، ومراجعة المسلمات الفكرية والقيمية والسلوكية لما أقرأ وأسمع أو أعايش من أوضاع الناس من حولي، وهي أدلة ساطعة على ما يمكن أن يحققه التعليم الجامعي الخصيب من تنمية قدرات التفكير والوعي الناقد في حياة طلابه وفي تطوير مجتمعهم. (عمار، ٢٠٠٦، ص ١٠٤)

• سابعا: القراءة وعشق المعرفة والوعي الناقد

كان عمار عاشقا للقراءة، حريصاً على الكتابة والتأليف، وحضور المؤتمرات، وفي حوار له مع مجلة نوافذ الإلكترونيات أشار لتلك الهمة العلية، والرغبة التي لا تنطفئ؛ بقوله: " ومع تقدُّمي في العمر؛ لم أتوقف ولن أتوقف عن الكتابة؛ إلا إن أوقفت قسراً، فأنا حريصٌ على كتابة المقالات وتأليف الكتب، سأظلُّ حريصاً على الاستمرار في المشاركة بالمؤتمرات والاجتماعات المختلفة؛ وذلك لأنني أدرك أنني صاحب رسالة تعليمية، ينبغي إبرازها لصنَّاع القرار، فلعلها تكون أشبه بالجرأك والتَّحوُّل، الذي طال انتظاره، لإصلاح التعليم، ليس في مصرَ وحدها، ولكن في العالم العربي أيضاً. (عمرو، ٢٠٠٩)

• ثامنا: مناقشة الواجبات مع معاوني هيئة التدريس [المعيدين]

يقول: كان من بين مناهج السنة الأولى مجموعات صغيرة، نلتقي فيها مع أحد معاوني هيئة التدريس (المعيدين) لمناقشة كتب يُطلب منا قراءتها، وتلخيصها، كتابة وعرضاً، في جلسات صغيرة مرة كل اسبوع. وأحسب أن لهذه الحلقات تأثيراً هائلاً في حسن تذوقي للأدب والشعر، إلى جانب اهتمامي بالتفكير المنطقي وحلاوة الأسلوب. ولعل هذا ما تفتقده مقررات الجامعة اليوم، مما تضج به مقالات الطلاب من سوء التعبير وركاكته وكأبته. (عمار، ٢٠٠٦، ص ٩٨)

من حرصه على التعلم، وتشوقه للاستزادة من العلم؛ لم يكتفِ وهو في لندن؛ بحضور محاضرات الجامعة فقط، بل كان يحضر في مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية والسياسية، مقررات في علم الاجتماع والانتروبولوجيا، بعد أن رتبت له مشرفته على رسالة الدكتوراة؛ الاستاذة (ريد)؛ الحضور لتلك المدرسة، مع عيادة تافستوك النفسية، من أجل توظيف هذه المعارف في المنهج التكاملي للبحث.

وفي تلك المدرسة لم يكتفِ بمحاضرات (رايموند فيرث) في الانتروبولوجيا، و(هارولد بك) في الاجتماع، وإنما كان بين الحين والآخر يذهب إلى قاعة البدرام لحضور محاضرات (هارولد لاسكي) الفيلسوف الشهير، والذي كان شبيهاً في شكله وحماسه بـ (مانهايم)، بالإضافة لما درسه في عيادة تافستوك للبيكولوجية في مجال التشخيص والاختبارات لنمط الشخصية، ومنها اختبار الروشاخ. (عمار، ٢٠٠٦)

• ناسما: فرصة الدراسة بالخارج والنقلة الحضارية

يصف عمّار دراسته بجامعة لندن، وتحقق حلمه الذي كان ينظر إليه بالمستحيل، حيث شق طريقه من قرية سلوا المنعزلة عن أبسط مظاهر العلم والتعلم إلى لندن، حيث النقل الحضارية، كما يصفها، والاجتياز الحضاري الكبير، على المستوى العلمي، والاجتماعي، وجميع الجوانب الشخصية، وقد تحقق له في أثناء دراسته من صنوف العلم والمعرفة، ما كان نافذة له لعالم التربية الفسيح، فالتقى باساتذة عظام، وطلاب من مختلف بلدان العالم، وتعاون بينهم، يقول: "كان لاختلاطي آثارا عميقة سواءً من خلال بيت الطلبة أو مدرجات الدرس، أو ردهات الكلية، مع طلاب ذو بشرة بيضاء أو سوداء أو سمراء وصفراء، وشعور رأس سوداء وحمراء، وشقراء، ناعمة مرسلتة وخشنة متموجة ومتجعدة، قد أذاب هذا الاختلاط وتلك المعايشتة ما كان مترسباً لديّ من تحيزات قبلية صعيدية، ليتكون مكانها إدراك الحقيقة الإنسانية الكبرى، وهي أننا جميعا بشر من سلالة آدم وآدم من طين، وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى وبمكارم الأخلاق". (عمّار، ٢٠٠٦، ص ١٥٤)

• الخاتمة:

وختاماً فقد أتمت الباحثة بفضل الله تعالى وتوفيقه الدراسة الحالية، محققة أهدافها، ومجيبية على تساؤلاتها، وذلك من خلال ثلاثة مباحث، الأول: العوامل التي أثرت على تشكيل شخصية حامد عمّار وفكره التربوي، والثاني: الجهود والإسهامات التربوية لحامد عمّار، والثالث: الأراء التربوية لحامد عمّار وتطبيقاتها على قضايا تربوية معاصرة، وكان من أبرز النتائج ما يلي:

- ◀ سوء الأحوال الاقتصادية وقلّة الفرص وضعف الإمكانيات ليست دائماً عائقاً عن النجاح، ففي حالة حامد عمّار اجتمعت الظروف الصعبة، مع الفرص شبه المعدومة، والانعزال عن المدنية والتعلم والنهضة، ومع ذلك سخر الله له من أسباب النجاح، وهياً له من الأشخاص؛ من أعانه على شق طريقه العلمي منذ بدايات دراسته الأولى.
- ◀ بركة بر الوالدين ودعائهما، فلم يغيب عن سمع عمّار دعاء والدته له: (ربنا يعليّ مقامك، ويوتق حزامك، ويبارك أقلامك، يا حامد وليد نزهة) حتى وهو في غربته، وبينه وبينها آلاف الأميال، فالدعاء للأبناء أحد أهم أسباب استجلاب البركة والتوفيق.
- ◀ الاعتزاز بالأصل والمنشأ رغم الانفتاح على عدة مجتمعات، ورغم الفقر والحرمان، دليل على أصالة خلق عمّار، ووفائه وحفظه للجميل.
- ◀ يرى عمّار أن التعليم الأجنبي يجب ألا يطغى على التعليم الحكومي، بحيث يوضع سقف لنمو مؤسساته، حتى وإن كان فيه نوع من إثراء التنمية البشرية، وذلك لما قد يسببه من اللاتجانس والتناقض الثقلي والتفكك الاجتماعي، وانحسار مقومات الوفاق الجماعي.
- ◀ رغم معاصرة عمّار لأحداث تاريخية عظيمة، إلا أن كتاباته كانت في غاية الموضوعية، بعيداً عن التحزب والطائفية، ومن صميم قلبه وحرصه على مصلحة مجتمعه وأمتة العربية والإسلامية.

« خَلَّفَ عَمَّارٌ تراثاً علمياً أصيلاً جمع فيه بين عمق الرؤية التربوية، وبعُد النظر في القضايا الوطنية والاجتماعية، واستشراف المستقبل المبني على أسس وقواعد علمية، لتبقى تلك المؤلفات بلغتها الحياة تناقش الواقع، وتكشف عن أسباب الخلل والقصور، وتقترح الحلول.

• النوصيات:

« القيام بمزيد من الأبحاث والدراسات المتعلقة بشخصية حامد عمَّار، حيث إنه من عظماء التربية المعاصرين، وأبحاثه ومؤلفاته بحاجة لبذل الكثير من جهود الاستقصاء والتنقيب، وسبر الأغوار؛ حتى يُستفاد من فكره التربوي العميق في الواقع التربوي والتعليمي المعاصر.

« الاهتمام بالأبحاث والدراسات التي تهتم بدراسة الشخصيات التربوية المعاصرة، لملامتهم للتحديات والمتغيرات المعاصرة.

• المراجع:

- المزاودة، سلامة مطر (٢٠٠٤)، "جهود الدكتور سعيد إسماعيل علي في التأصيل الإسلامي للتربية"، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، إربد.
- إسماعيل، أحمد صبحي (٢٠١٢)، "الفكر التربوي عند إسماعيل الفاروقي"، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، إربد.
- عمَّار، حامد (١٩٨٢)، "في بناء البشر: دراسات في التغيير الحضاري والفكر التربوي"، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة.
- جمال الدين، نادية يوسف (٢٠٠٧)، "حامد عمَّار وسيرته الذاتية" خطى اجتزاها بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة" رؤية للتجديد في مجال التربية والتعليم، مجلة رابطة التربية الحديثة، المجلد الأول، العدد الأول، مصر.
- عمَّار، حامد (٢٠٠٦)، "خطى اجتزاها بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة" سيرة ذاتية"، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- بدران، شبل، وداعاً تربوي الفقراء، ٢٧ ديسمبر ٢٠١٤، جريدة الأهرام الإلكترونية، رابط استرجاع: <http://www.ahram.org.eg/NewsPrint/350792.aspx>
- عبد السلام، فاروق، شيخ التربويين يفتح قلبه للأهram: البشر أهم ثروات مصر، مجلة الأهرام الإلكترونية، ذي الحجة/ ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤، السنة ٢٤، العدد ٨٥٥١، رابط استرجاع: <http://massai.ahram.org.eg/Archive/Inner.aspx?ContentID=14559>
- أبو عميرة، محبات، حامد عمَّار: قصة كفاح نادرة، جريدة الأهرام، ٥/ ١٢ / ٢٠١٤، رابط: <http://massai.ahram.org.eg/NewsQ/50/143263.aspx>
- عبيدات، ذوقان وآخرون (٢٠١٣)، البحث العلمي "مفهومه وأدواته وأساليبه"، دار الفكر، الأردن
- عمَّار، حامد، تعليمنا بين التعدد والتنوع، مجلة الأهرام الإلكترونية، ٢٩/ ٣ / ٢٠٠٧هـ - ٢٠٠٧م، رابط استرجاع: <http://www.ahram.org.eg/Archive/2007/4/17/OPIN4.HTM>
- الجوادى، محمد (٢٠٠٨)، وفقات على كتاب: خطى اجتزاها بين الفقر والمصادفة إلى حرم الجامعة، مجلة عالم الكتب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٢، ص ٢٣ - ٢٦، مصر.
- ضياء الدين الدين، زاهر (٢٠٠٨)، حوار مع مفكر: الاستاذ الدكتور حامد عمَّار "شيخ التربويين العرب"، مجلة مستقبل التربية العربية، المجلد ١٤، العدد ٥٠، ص ٤٥٠ - ٤٥٨، مصر.
- هيئة التحرير بمجلة الطفولة والتنمية (٢٠١٥)، المؤلفات والخبرات العلمية والعملية والإنتاج العلمي للأستاذ الدكتور حامد مصطفى عمَّار، المجلد ٦، العدد ٢٣، ص ٢١٣ - ٢١٨، مصر.
- مجلة الأهرام الإلكترونية، شيخ التربويين د. حامد عمَّار في عامه الثالث والتسعين، الفساد أسقط هيبة الدولة، ١٩/ ٤ / ١٤٣٤هـ، السنة: ١٣٧، العدد ٤٦١٦، رابط استرجاع: <http://www.ahram.org.eg/News/745/83/134136/%D8%AD%D9%>

- عمرو محمد (٢٠٠٩)، حوار مع حامد عمّار بعنوان: "التعليم الأجنبي يهدد هويتنا والسياسة لا تزال تشتبك بالتعليم"، مجلة نوافذ الإلكترونية، رابط استرجاع:
<http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-90-111775.htm>
- جريدة سبق (٢٠١٨)، "أم القرى تلغي برنامج الإعداد التربوي التتابعي"، ٤ / ٦ / ١٤٤٠هـ، رابط استرجاع: <http://rs.ksu.edu.sa/issue-1292/4645>
- العساف، صالح حمد (٢٠٠٣)، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط ٣، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.
- أبو سليمان، عبد الوهاب (١٩٩١)، كتابة البحث العلمي (صياغة جديدة)، ط ٦، دار الشروق، جدة، السعودية.

